مخطوط عربي عن الخيل منذ سبعمائة عام
كتاب كامل الصناعتين: البيطرة والزردقة

د. أحمد جعفر

يعد كتاب كامل الصناعتين من أهم كتب طب الحيوان وتربيته في التراث العربي. المؤلف هو أبو بكر بن عبد الله بن البدر المتوفى سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م، وقد عرف هذا المؤلف بحرفته، فهو البيطار لخيول السلطان محمد بن قلاوون. وعرف المؤلف أيضا بابن المنذر. وقد ألف هذا الكتاب بتكليف من السلطان، فأصبح من المكتبة العلمية الطبية للسلطان المملوكي محمد بن قلاوون.

المقصود بالصناعتين في هذا الكتاب البيطرة والزردقة، والعنوان الكامل لهذا الكتاب يتضمن الأمرين معا، فهو كامل الصناعتين البيطرة والزردقة؛ والبيطرة هي ذلك الفرع الذي كان يهتم بموضوعات طب الخيول، أما الزردقة فتتناول تربية الخيول وتعليمها.

عرف حاجي خليفة في كشف الظنون هذا الكتاب لمؤلفه، وظل هذا الكتاب موضع عناية الوراقين، فتعددت مخطوطاته. ويوجد من الكتاب نحو عشر مخطوطات في مكتبات العالم الكبرى التي تضم تراثا عربيا مخطوطا، منه نسخ في المكتبة الوطنية بباريس، وفي مكتبة فيينا وفي المتحف البريطاني بلندن وفي بودليان وفي برلين. أما في الدول العربية فمنه مخطوطات كثيرة في مصر بدار الكتب والأزهر والإسكندرية ويوجد بالمتحف العراقي ببغداد أيضا.

اهتم المستشرقون بهذا الكتاب، فكتب عنه فروتر مقالا علميا في مجلة أرشيف الطب البيطري سنة ١٩٢٩م. أما بروكلمان فقد ترجم للمؤلف في كتابه تاريخ الأدب العربي، وذكر للكتاب عنوانين، أحدهما: كامل الصناعتين في البيطرة والزردقة، والثاني كاشف الويل في معرفة أمراض الخيل. وقد عرف الكتاب أيضا بالناصري نسبة إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون.

ولأهمية هذا الكتاب في تاريخ التراث العلمي العربي فقد جمعنا مخطوطات هذا الكتاب وقمنا بتحقيقه مع تعليقات علمية، والكتاب الآن تحت الطبع. ومع هذا يعد التعريف بمحتوى هذا الكتاب إكمالاً لصورة التراث العلمي عند المثقف العربي المعاصر.





يضم هذا الكتاب مبحثين أساسيين هما البيطرة والزردقة. أما البيطرة فتشمل القضايا الأساسية المتعلقة بطب الخيول بصفة عامة. ويقع هذا القسم في خمس مقالات، في كل منها أبواب متعددة. وفي هذا القسم نجد اهتماما كبيرا بفضل الجهاد والمجاهدين وصلة ذلك بالخيل، والأحاديث النبوية وأشعار العرب الخاصة بالخيل. تناول بعد ذلك – بالتفصيل – الألوان المختلفة للخيول، وهنا نجد ألوانا كثيرة تتجاوز معرفتنا المعاصرة المحدودة بهذه الألوان. أما الصفات التي تحب في الخيل والصفات التي لا تحب فقد تناولها المؤلف أيضا، ثم انتقل بعد ذلك إلى الأمراض، ويسميها الأعلال جمع علة، وتعرض لأسبابها وعلاماتها. ومنهج المؤلف هنا أنه خصص لكل عضو من الأعضاء في جسم الفرس بابا، ويبدأ بسطح الجلد فذكر الأمراض التي تصيب سطح الجلد، ثم انتقل بعد ذلك إلى الأمراض التي تصيب باقي أعضاء الجسم. وفي هذا القسم نجد معلومات مهمة توضح مدى معرفة العرب بطب الخيول مما يفسر أهمية الكتاب.

وصف المؤلف القسم الثاني بأنه جزء العمل، وفيه ذكر الكاتب أنواع الفصادات ومنافعها وكيفية فصاد كل عرق منها. وقسم الكاتب هذه الفصادات على طول الجسم. وقدم وصايا البياطرة والزرادقة في هذا الصدد، وفي العمل مع الحيوان في معرفة مدى قيمة الفرس وإبداء الرأي في ذلك ثم قدم الكاتب وصايا للبياطرة والزرادقة وذكر مداواة الأمراض جامعا أقوال الفلاسفة والبياطرة وما تعارف عليه أطباء العرب في علاجهم هذه الأمراض.

الطريف في الكتاب أنه لم يقتصر على الجانب الطبي، ولكنه تناول أيضا كيفية التعامل مع الحيوان المريض وطرق رعايته وملاطفته. وهذا جانب مهم في طب الحيوان في التراث العربي.

أما الأدوية النافعة للأمراض مثل الأكحال والمسهلات والمقبضات والمراهم واللطوخات وكيفية استخدامها في الأمراض المختلفة فقد شغل بها المؤلف في عدة أبواب. يضاف إلى هذا الكي بالنار، إذ خصص المؤلف للعلاج عن طريق الكي بابا عرف فيه الكيات، أي الأدوات المستخدمة في الكي، ومنافع كل واحدة منها، ومتى تستخدم. ووصف كذلك الزرق وأنواعه ومنافعه. وتحدث عن أنواع العلاج المختلفة، منها الذرورات أي (البودرة)، ثم الحقن والجبارات واللحامات المختلفة التي تستخدم في علاج الكسور، وكذلك ذكر التعاوية والرقى مما لا يدخل في باب الطب بالمعنى العلمي.

وفي آخر الكتاب نجد أسماء المسامير والنعال وطرق تركيبها، ويعبر المؤلف عن ذلك بكلمة «هنابيز» وهذا كله يعد الكتاب من أهم مصادر المعرفة بالجهود العربية الإسلامية في طب الحيوان. وهناك أوجه شبه كثيرة بين محتوى هذا الكتاب وكتب أوربية حديثة، ولكن هذا موضوع مقال آخر ●